

الدين الإبراهيمي دعوة لإلغاء الأديان



كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن البيت الإبراهيمي، والعائلة الإبراهيمية، والديانات الإبراهيمية، وأخيرًا الدين الإبراهيمي، وكعادة مجتمعاتنا اختلف تناول الناس لهذه المصطلحات وتفسيراتها، فقد فهم المعتدلون أنها محاولة للتذكير بأخوة الأنبياء، حيث ينتهون إلى أبيهم إبراهيم - عليه السلام -، وهذا يقرب المسافات بين الديانات وأتباعها، ويؤكد على حقيقة نفي العداوة بين المختلفين في الأديان.

أ.د. عباس شومان (*)

تنتفي الحساسيات بين أبناء البيت الإبراهيمي الواحد، وينطلق جميع البشر للعمل معًا على منهج واحد في كافة شئونهم، وساعتها لا يكون هناك من يُطْلَقُ عليه (الآخر) من أتباع كل دين.

وأصحاب هذا التوجه بنوا رؤيتهم هذه على تحركات قادها الأزهر وشيخه في السنوات الأخيرة بأنها تدفع في هذا الاتجاه، فقد بذل جهودًا كبيرة وأظهر انفتاحًا واسعًا على الكنائس بكافة أنواعها، وفي مقدمتها الفاتيكان، حيث استأنف الحوار الذي سبق وأوقفه الأزهر في عهد البابا السابق بعد تصريحات مسيئة عن الإسلام والقضية الفلسطينية، وتبادل الزيارات مع البابا فرانسيس في الفاتيكان والأزهر الشريف، وشارك بابا الفاتيكان في مؤتمر عقده الأزهر الشريف عن السلام، وألقى كلمة رائعة فيه، وشهدت جلسة الافتتاح هذا العناق الحار بين الرجلين، كما زار فضيلته البوندستاج الألماني، وألقى محاضرة

(*) وكيل الأزهر الشريف سابقًا.

فاختلاف الدين والمعتقد ليس سببًا في العداوة بين أتباعها؛ إذ يمكن للجميع العمل معًا في ضوء المشتركات الإنسانية، التي لا تختلف باختلاف الديانات التي جاءت كلها من عند إله واحد، وحملها للناس إخوة ينتهون إلى إبراهيم - عليه السلام -، وهذا المفهوم ثابت ومستقر في الإسلام، ويعمل المسلمون؛ مؤسسات وأفرادًا على تطبيقه، امتثالًا لقوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّهُمُ وَقَدْ قَسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(المتحنة: ٨)

بينما بالغ آخرون، حيث يرون أن الحديث عن الإبراهيمية يعني ذوبان الرسالات اليهودية، والمسيحية، والإسلامية؛ ليتكون من مجموعهم دين واحد يتبعه كافة البشر، بمعنى أن يتكون مسلك موحد في العبادات والمعاملات... إلخ، من هذه الرسالات أو الديانات كافة، وبذلك



الإلهية، فلو أراد رب العالمين أن يكون الناس على دين واحد لما كانت هذه الآيات في كتاب الله، التي تبين هذا التعدد في الديانات وأتباعها، وتؤكد على بقاء الناس على ذلك، وتلا منها قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

(هود: ١١٨)

كما بين أن رب العالمين أعلمنا بأن الناس لن يكونوا على نسق واحد في الإيمان، بل كانوا، وسيبقون منهم المؤمن ومنهم الكافر:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(التغابن: ٢)

ثم بين أن الحديث عن البيت الإبراهيمي يمكن أن يقبل في إطاره الصحيح، فإبراهيم -عليه السلام- هو أب للأنبياء جميعاً.

وعلى ذلك فكلنا أتباع الديانات المختلفة ننتمي إلى أب واحد وهو إبراهيم -عليه السلام- وبين أدياننا قواسم مشتركة، فهي تتفق على توحيد الخالق، وعلى مكارم الأخلاق، وتحريم الظلم، والحث على فعل الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ويبقى لكل ديانة خصوصيتها وخطوطها الفاصلة بينها وبين الديانات الأخرى، وعلينا أن نحترم هذه التعددية، ونبقي على حرية الاعتقاد، ولا نلزم الناس بمعتقد واحد لا نعرف عنه شيئاً، حيث لا نعرف ملامح هذا المولود الجديد المسمى بالدين الإبراهيمي.

حقاً لا يمكننا تصور حقيقة هذا المولود المزعوم، هل هو إلغاء للأديان الثلاثة ليتحول

تاريخية وأجرى حواراً فكرياً مع أعضائه، كما زار كنيسة كانتربري، وغيرها من الكنائس الغربية، والزيارات المتبادلة بين الإمام وفي صحبته علماء من الأزهر إلى الكاتدرائية في المناسبات، وزيارة قادة الكنائس المصرية إلى مشيخة الأزهر في المناسبات الإسلامية من المشاهد المألوفة المتكررة التي يتابعها الناس حيثما وجدوا.

كما أن الحضور المسيحي واليهودي علامة بارزة لا تفاجئ المتابعين لمؤتمرات الأزهر العالمية، وأبرز مثال لها مؤتمر الأزهر عن الحرية والمواطنة - التكامل والتعدد، ومؤتمر الأزهر لنصرة القدس، كما شهدت المؤتمرات المسيحية في الفاتيكان ولبنان وغيرها حضوراً لافتاً من علماء وقيادات الأزهر الشريف، ومن الإمام الأكبر نفسه الذي شارك في ثلاثة منها في زيارته الأخيرة لروما.

وربما تسرب إلى أذهان البعض أن هذه التحركات والانفتاح على الآخر ربما يعني إمكانية قبول الأزهر وشيخه لما يتهمس به الناس عن الإبراهيمية الجديدة!

وهو ما جعل بعض الأصوات ترفض هذا التوجه المزعوم، وقد أحسن فضيلة الإمام الأكبر حيث حسم هذا الأمر بوضوح أثناء كلمته في احتفال بيت العائلة المصرية بمرور عشر سنوات على تأسيسه، حيث بين بأن التواصل مع الكنائس والعمل المشترك لا يعني بحال ذوبان الديانات بعضها في بعض، وأن فكرة المولود الجديد المسمى بالدين الإبراهيمي فكرة مستحيلة التنفيذ على أرض الواقع، وأنها ضد المشيئة



أتباعها إلى كفار لرفضهم الإبراهيمية الجديدة، أو أنه جمع بينها لنصلي في المعابد ثم الكنائس ثم المساجد؟ أو أننا سنكتفي بصلاة في الصباح وأخرى في المساء على ملة إبراهيم -عليه السلام-؟ وهل سنصوم على الشريعة اليهودية، ثم نصوم للمسيحية، ثم للإسلام؟ وماذا لو تعارض صيامنا على شريعة مع صيام شريعة أخرى في الوقت مع أن الكيفية مختلفة؟! أو أننا سنترك ذلك كله لعجزنا عن القيام به مجتمعاً فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها؟ أو أننا سنتبع اليهودية على أنها الأقدم، أو المسيحية؛ لأنها صاحبة الأتباع الأكثر، أو الإسلام؛ لأنه جمع محاسنهما وزاد عليها؛ جرياً على نسق ما يحدث في القرارات والقوانين، حيث يكون العمل على آخرها، وإلغاء ما سبقها؟!

ثم أتباع كل دين يتبعون رسولاً بعينه، فأبي رسول سنتبع إن تحولنا لهذا الدين الذي لا رسول له، فإبراهيم -عليه السلام- لم يأت به حتى ينسب إليه، وبكل تأكيد كل واحد من أبنائه جاء بدين يختلف عن هذا الدين الجديد، وكلهم منه براء؟ وماذا سنفعل فيما ظللنا نعتقده قرابة خمسة عشرة قرناً من الزمان بأن ديننا كمسلمين هو خاتم الأديان، وأن رسولنا هو خاتم المرسلين؟! هذه (الأغاليط) التي يتحدث بها البعض ما هي إلا أحلام يقظة، يقصد بها الانسلاخ عن هدي الشرائع كلها، وإن كان حديثهم في ظاهره جمع للناس وإزالة ما بينهم من خلاف.

لقد قطع الإمام الأكبر بهذا البيان الشافي الواضح الطريق أمام المرجفين الذين يخرجون

العبارات عن سياقها، ويؤولونها تأويلات خاطئة لا تمت للواقع بصلة.

وإذا كان المراد جمع الناس قاطبة على قواسم مشتركة ينطلقون من خلالها لعمارة الكون، فلا حاجة للبشرية إلى دين جديد، فالإسلام يكفينا مئونة اختراع دين جديد؛ إذ فيه من الهدى ما يسع جميع الناس على اختلاف عقائدهم، وألوانهم، وثقافتهم، ولغاتهم، وجميع مناحي حياتهم، ودعوته للتعارف كانت عامة للناس كلهم يوم أن نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات: ١٣)

فهل بعد هذا الخطاب يرى المتشددون أننا في حاجة لاختراع دين جديد؟!!

وإذا كان المراد من اختراع دين جديد هو القضاء على صراع الإنسانيّة، وتضميد جراحها، وحقق دماؤها كما يزعم دعاة الدين الجديد، فإن هذا محض وهم؛ لأنّ العالم كله يعرف بل يتقن اليوم أنّ ما تعيشه الإنسانيّة من صراع لا دخل للأديان فيه، بل إنهم لو أفسحوا المجال للأديان دون تدخل، أو تزييف، أو تحريف، لعاشت البشرية في أمن وسلام؛ فالإسلام لم ينكر على الإنسانية أن تعيش في سلام، مع إقراره وتقبله لاختلاف العقائد، والثقافات، والعرقيات، والمذاهب، والأفكار، وكان خطابه واضحاً في الحفاظ على النفس البشرية مطلقاً،





دين جديد؟!

إنَّ كلَّ القيم التي يمكن أن تستر بها هذه الدعوة؛ ليتقبلها الناس، موجودة في القرآن الكريم، وهدى سيدنا رسول الله ﷺ، فإذا كانت عيونهم سفحت الدموع بكاءً على الإنسانية، وما آلت إليه، فالإنسانية لا تحتاج إلى دين جديد، بل إنها في أمس الحاجة للإسلام، الذي يوقف نزيف دمائها، ويضمّد جراحها، ويحفظ عليها خصوصياتها العقديّة، والفكريّة، وتقاليدها الاجتماعيّة، ولا يكرهها على معتقد، ولا يصادر على حريّاتها، ولا يسب ويسخر من دياناتها.

بخصوصياتها العقديّة، والاجتماعيّة، والفكريّة، دون تمييز، فقال:

﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

(المائدة: ٣٢)

والسؤال الآن، هل نحن في حاجة لاختراع

